

تحرير العلم لردّ العدوان



ننخدع أحياناً بفكرة أنّ العلم أصبح متاحاً للجميع بفضل التكنولوجيا ومحركات البحث، من دون أن ننتبه إلى أنّ ما وفّرت الثورة المعلوماتية ووسائل التواصل الاجتماعي، يخضع للرقابة حتى في أدقّ التفاصيل. وتتمّ معاقبة الذين يخرجون عن الخطاب المطلوب بحسب سياسات القيّمين على التحكّم بما يجب أن نعرف وكيف نعرفه ومن أيّ زاوية. أضف إلى ذلك أنّ المعلومة عادةً لا تعدو أن تكون وصفاً سطحياً لما هو أعمق، أو ببساطة قد تكون خدعةً أو دعايةً أو كذبةً استغلّ صاحبها الفضاء الإلكتروني لنشرها وساعده على ذلك غياب "العقل الانتقائي" عند الأعمّ الأغلب من المستهلكين للمعلومة.

المعلومة إذاً ليست علمًا ناتجًا عن بحثٍ وتحقيقٍ، بل قد تكون وسيلةً تجهيلٍ للحقيقة في أيّ شأنٍ من الشؤون. تبرز هذه الحقيقة المرّة عندما نلاحظ الاهتمام المنقطع النظر بربط الإسلام كدينٍ بالعنف والإرهاب، فرموز الإرهاب المعاصر هم اليوم نجوم الغوغل واليوتيوب والفيس بوك والتويتر والإنستغرام، وتتوفر عنهم مادةٌ ضخمةٌ من الصّور والفيديوهات والمقالات التي تُكرّسهم أبطالاً عند بعض المُضللّين، وتُكرّس معهم صورة الإسلام العنفي لدى بقيّة المستهلكين للصورة والمعلومة. والمشكلة أنّ ما تُخرّب المعلومة المضلّلة في لحظاتٍ قد يُعادل عمر مستشرق قضى حياته باحثًا عن

منقصة في الشرق أو الإسلام، وبالتالي يحتاج الردّ على معلومة كاذبة إلى أبحاث وجهود علماء حقيقيين وباحثين جادين لسنوات. تأمل الآن غزارة المعلومات التي تُضخُّ يومياً وفكر بما نحتاجه من جهدٍ وتعبٍ "لتحرير العلم" من المعلومة أو من شبكة عنكبوتيةٍ تأسر الحقيقة داخل خيوطها.

في هذا العدد

١- في بحثه عن العسكرة الاستشراقية وانعكاساتها الكوارثية على العرب والمسلمين، يُدع الدكتور صالح زهر الدين في بيان الخلفية العدوانية لهذا النوع من الاستشراق العسكري التجسُّسي، وفي بيانه لأدوار المستشرقين الضباط في المخابرات يكشف هذا الجانب المستور بهالة جهود المستشرقين العلمية، والذي لم يحظَ بحقِّ بدراساتٍ مستقلةٍ ومستفيضةٍ. جانبٌ آخرٌ من هذه الدراسة القيمة يجدر بنا التوقُّف عنده وهو علاقة الغرب بالصهيونية، بمعنى أنّ الصهيونية غربيةٌ أكثر ممّا هي يهودية، فالمستشرقون الإنكليز الذين كانوا متحمسين لإنشاء كيانٍ صهيونيٍّ في فلسطين عملوا على تسويق الفكرة حتى عند اليهود.

٢- بواسطة "الصحيفة المصوّرة الصغيرة" حاولت فرنسا أن تُكرِّس صورةً نمطيةً دونيةً لشعوب أفريقيا الشمالية، خصوصاً في المغرب والجزائر وليبيا، واستغلت الصور لتبرير الاستعمار بل وتقديمه وكأنه نعمةٌ حلّت على البرابرة والهمجيين. تحليلٌ دقيقٌ وموفِّقٌ يُقدِّمه الأستاذ بلقاسم دحرود من المغرب في بحث الإمبريالية الفرنسية المصوّرة: صورة المغرب لدى الفرنسيين (١٩٠٧-١٩٥٦).

٣- يُبهر الدكتور جميل حمداوي في مفاهيم الاستشراق والاستمزاغ والاستغراب والاستغراب متعمِّقاً في التعريف والتطور التاريخي والأعلام. ولعلّ من المناسب أن نتوقّف قليلاً عند الكشف عن الغنى في الثقافة واللغة والحضارة الأمازيغية، فقد ترافق التركيز على القومية العربية مع نظرةٍ مريبةٍ إلى كلّ قوميةٍ غير عربيةٍ، وأستغلّ هذا الأمر من قبل المستعمرين لتوظيف هذا الشرخ في خدمة مشاريع التقسيم والتفسيخ. ولئن كانت النزعات القومية تضيق ببعضها البعض، فإنّ وعاءٍ وصدور الإسلام الحضاري يتسع لكلّ الأعراق والقوميات تحت عنوان "لتعارفوا". وهذا الاتجاه يُنمّي التكامل ويدع التفاضل على أساس العلم والتقوى، مع احترام الخصوصيات الثقافية المستمدة من القيم

الإنسانية أو من الأديان السماوية وخصوصاً الإسلام القرآني الجامع لكل الأديان الإبراهيمية.

٤- كانت رواية أبي مخنف عن وقائع ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومن نقل عنه، محور اهتمام المستشرقين نفيًا ونقدًا وتشكيكًا أو دفاعًا وإثباتًا، وانتهى البحث بهم إلى وضع أبي مخنف في الوسط كمؤرخٍ موزونٍ لا سبيل إلى نكران روايته. يُناقش الدكتور جواد كاظم النصر الله والمدرس المساعد محسن طعمة يوسف من جامعة البصرة، مجمل ما ورد في تحقيق تاريخية النص في بحث: الرواة الأوائل للثورة الحسينية من وجهة نظر استشراقية.

٥- واجه المستشرقون صعوباتٍ في تعلّم العربية، فلم ينسبوا الصعوبة إلى بديتهم اللغوية، بل نسبوها إلى اللّغة نفسها، التي أصبحت مستهدفةً منهم بالتقدّم معظم التراث العربي الإسلامي. في بحثهما اللّغوي القيم يُناقش الدكتور رياض كريم عبد الله والمدرّس المساعد عبد الحسن عباس حسن صحّة ما نُسبَ إلى اللّغة العربية من قبل المستشرقين انطلاقًا من كيفة مقارنة المستشرقين لجمع التكسير. ويثبتان أنّ جمع التكسير سابقٌ على جمع السلامة بسبب حرص العرب على إدخال الجمع إلى بنية الكلمة وعدم الاقتصار على اللّواحق، ما يجعل الجمع مفردةً جديدةً يصعب على الأجنبي التنبؤ بها وفقًا لنظام اللّواحق، بينما يسهل على أهل العربية ذلك. وقد أثبت الباحثان أنّ ما يُسميه المستشرقون عيبًا في اللّغة العربية هو في الحقيقة ميزةٌ مكّنت الشعراء من التعبير عن المعاني في حقلٍ واسعٍ من المفردات من دون إحداث خللٍ في النظام العروضي.

٦- تحت عنوان نقد الرواية العربية من منظور الاستشراق، روجر ألن مثلاً، يقدّم الدكتور علي محمد ياسين دراسةً جديدةً في المجال الأدبي، حيث يلتقي الأدب العربي بعين المستشرق ومنهجه النقدي، وتكشف الدراسة عن تبحر روجر ألن في الأدب العربي الحديث خصوصًا ما صدر من رواياتٍ عربيةٍ بعد نكسة سنة ١٩٦٧، وقبلها نكبة فلسطين. يهتمّ "ألن" بمدى علاقة الرواية بالواقع أكثر من الوقوف عند الجماليات الأدبية، فيُمثّل بالتالي اتجاهًا يُقيم الأدب من خلال ما يعكسه عن واقعه، وما يمكن أن يُمثله من اتجاهاتٍ ثقافيةٍ عربيةٍ، وبذلك لا يخرج "ألن" من ثابتة الاستكشاف التي تظعي على جهود المستشرقين.

٧- إشكالية رسم المصحف العثماني في ضوء الرؤية الاستشراقية، للدكتور حكيم سلمان السلطاني، والدكتورة زهراء البرقعراوي، هي دراسة تُبين تبعية الرسم القرآني للرواية والقراءات السابقة، لا العكس كما حاول المستشرقون، وبالتالي يظهر توسع المعاني مع اختلاف القراءات من غير تناقضٍ أو تضادٍّ، ومن غير أن تحمل الآية القرآنية ما لا يتناسب مع رقيِّ المعاني القرآنية وانسجامها.

إدارة التحرير

جهاد سعد